

سورة الانفال

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (33)

شرح الكلمات:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ بما سألوهُ

﴿وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ لأنَّ العذاب إذا نزلَ عَمَّ وَيَمَّ يُعَذِّبُ أُمَّةً إِلَّا بِغَدِّ خُرُوجِ نَبِيِّهَا وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْهَا

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ حيث يقولون في طوافهم غُفْرَانَكَ غُفْرَانَكَ وَقِيلَ لَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ الْمُسْتَغْفِرُونَ فِيهِمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿لَوْ نَزَّلْنَاهُ لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

المعنى الإجمالي :

مَا كَانَ مِنْ سَنَةِ اللَّهِ، وَلَا مِنْ مَفْضَى رَحْمَتِهِ وَجُودِهِ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ، وَأَنْتَ أَيُّهَا الرَّسُولُ فِيهِمْ، لِأَنَّ اللَّهَ إِذَا أَرْسَلَكَ رَحْمَةً وَنِعْمَةً، لَا عَذَابًا وَنِقْمَةً، وَأَنْ سَنَةَ خَرَبَ إِلَّا يُعَذِّبُ الْمُكَذِّبِينَ إِلَّا بِغَدِّ أَنْ يَخْرُجَ الرَّسُولُ مِنْ بَيْنِ أَطْهَرِهِمْ.

فَقَالَ تَعَالَى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ فوجودك بينهم أمان لهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ إِذْ كَانُوا إِذَا طَافُوا يَقُولُ بَعْضُهُمْ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا غُفْرَانًا.

لأن سنة الله مع خلقه المكذبين للرسول، أنه سبحانه وتعالى قبل أن ينزل العذاب يخرج الرسول والمؤمنين به، مثال ذلك أمّره نوحاً

2

عليه السلام بأن يصنع السفينة؛ لينجو من الطوفان. وكل رسول لم تستجب أمته أصابها شيء من هذا، وعلى ذلك يخرج الرسول أولاً، ثم ينزل الحق عذابه، كما أنه يقول سبحانه وتعالى موضحاً فضل اللجوء إلى الله بالاستغفار:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأفقال: 33]. وهم إن استغفروا الله فمعين ذلك أهم آسوا به، ولكن الحق جاء بهذا القول ليدلهم على المشقة الذي يخلص الإنسان منهم من جريمة الكفر، وفي ذلك رحمة منه سبحانه وتعالى، وكأنه يحضهم على أن يستغفروا حتى لا ينزل بهم العذاب. ويرسم لهم وسيلة النجاة.

قال ابن عباس: كان فيهم أمانان: النبي صلى الله عليه وسلم، والاستغفار، فذهب النبي صلى الله عليه وسلم وبقي الاستغفار فهل تعلم ما عطية الاستغفار؟

عليك بكثرة الاستغفار فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستغفر الله في كل يوم وهو المعصوم والذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

فإذا أردت أن تأمن عذاب الله فعليك بالاستغفار

وإذا أردت الحياة الدنيا فعليك بالاستغفار

إذا أردت الآخرة فعليك بالاستغفار

إذا أردت محبة الله لك فعليك بالتوبة والطهر

إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين

جعلنا الله وإياكم من المستغفرين التوابين المتطهرين

فضائل الاستغفار:

1 - أنه طاعة لله عز وجل.

2 - أنه سبب لغفرة الذنوب: فَلْيَسِّرْ استغفروا ربكم إنه كان غفراً [نوح: 10].

3 - نزول الأمطار: يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ غُدْرَاراً [نوح: 11].

4 - الإمداد بالأموال والبنين: وَيُغْنِيكُمْ بِأَمْوَالٍ طِينٍ [نوح: 12].

5 - دخول الجنات: وَيُخَلِّلُكُمْ خُجَّاتٍ [نوح: 12].

3

6 - زيادة القوة بكل معانيها: وَيُزِيدُكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ [هود: 52].

7 - المتاع الحسن: يُزِيدُكُمْ مَتَاعاً حَسَناً [هود: 3].

8 - دفع البلاء: وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ [الأفقال: 33].

9 - وهو سبب لابتداء كل ذي فضل فضله: وَنُزِّلَتْ كُلُّ ذِي فَضْلٍ فَضْلاً [هود: 3].

10 - العباد أحوح ما يكونون إلى الاستغفار، لأنهم يخطئون بالليل والنهار، فإذا استغفروا الله غفر الله لهم.

11 - الاستغفار سبب لنزول الرحمة: لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُزْحَكُونَ [النمل: 46].

12 - وهو كفارة للمجلس.

13 - وهو تأني بالبي: لأنه كان يستغفر الله في المجلس الواحد سبعين مرة، وفي رواية: مائة مرة.

أوقات الاستغفار:

الاستغفار مشروع في كل وقت، ولكنه يجب عند فعل الذنوب،

ويستحب بعد الأعمال الصالحة، كالاستغفار ثلاثاً بعد الصلاة،

وكالاستغفار بعد الحج وغير ذلك.

ويستحب أيضاً في الأسفار، لأن الله تعالى أتى على المستغفرين

في الأسفار.

صيغ الاستغفار:

1 - سبب الاستغفار وهو أفضلها، وهو أن يقول العبد:

(اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت).

2 - استغفر الله.

3 - رب اغفر لي.

4

سورة الانفال

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (33)

شرح الكلمات:

{وما كان الله ليُعَذِّبَهُمْ} بما سأله

{وَأَنْتَ فِيهِمْ} لأنَّ العذاب إذا نزلَ عَمَّ ولمَّ يُعَذَّبْ أُمَّةٌ إلا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها

{وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون} حيث يقولون في طوافهم طوافك طوافك وقيل هم المؤمنون المستضعفون فيهم كما قال تعالى {لَوْ نَزَّلْنَاهُ لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}

المعنى الإجمالي :

ما كان من سُنَّةِ الله، ولا من مُقْتَضَى رَحْمَتِهِ وَحُكْمِهِ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ، وَأَنْتَ أَبْنَاهُ الرَّسُولِ فِيهِمْ، لِأَنَّ اللَّهَ إِذَا أَرْسَلَكَ رَحْمَةً وَنِعْمَةً، لَا عَذَابًا وَنِقْمَةً، وَأَنْ سُنَّةَ حَرْثِ الْأُمَّةِ يُعَذِّبُ الْمَكْذِبِينَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُخْرِجَ الرَّسُولَ مِنْ بَيْنِ أَطْفَرِهِمْ.

فقال تعالى {وما كان الله ليُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ} فوجودك بينهم أمان لهم {وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون} إذا كانوا إذا طافوا يقول بعضهم طوافك ربنا طوافك.

لأن سنة الله مع خلقه المكذبين للرسول، أنه سبحانه وتعالى قبل أن ينزل العذاب يخرج الرسول والمؤمنين به، مثال ذلك أمّره نوحاً

عليه السلام بأن يصنع السفينة لينجو من الطوفان. وكل رسول لم تستجب أمته أصابها شيء من هذا، وعلى ذلك يخرج الرسول أولاً، ثم ينزل الحق عذابه، كما أنه يقول سبحانه وتعالى موضحاً فضل اللجوء إلى الله بالاستغفار:

{وما كان الله مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: 33]. وهم إن استغفروا الله فمعنى ذلك أنهم آمنوا به، ولكن الحق جاء بهذا القول ليُدغم على المفد الذي يخلص الإنسان منهم من جريمة الكفر، وفي ذلك رحمة منه سبحانه وتعالى، وكأنه يحضهم على أن يستغفروا حتى لا ينزل بهم العذاب، ويرسم لهم وسيلة النجاة.

قال ابن عباس: كان فيهم أمانان: النبي صلى الله عليه وسلم، والاستغفار، فذهب النبي صلى الله عليه وسلم وبقي الاستغفار فهل تعلم ما عظمة الاستغفار ؟

عليك بكثرة الاستغفار فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستغفر الله في كل يوم وهو المعصوم والذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

فإذا أردت أن تأمن عذاب الله فعليك بالاستغفار

وإذا أردت الحياة الدنيا فعليك بالاستغفار

إذا أردت الآخرة فعليك بالاستغفار

إذا أردت محبة الله لك فعليك بالتوبه والمظهر

إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين

جعلنا الله وياكم من المستغفرين التوابين المتطهرين

فضائل الاستغفار:

1 - أنه طاعة لله عز وجل.

2 - أنه سبب لغفرة الذنوب: **فَلَمَّا اسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا** [نوح: 10].

3 - نزول الأمطار **يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا** [نوح: 11].

4 - الإمداد بالأموال والبنين **وَيُؤْتِيكُمْ بِأَمْوَالٍ جَدِيدٍ** [نوح: 12].

5 - دخول الجنات **وَيُخَلِّقُ لَكُمْ جَنَّاتٍ** [نوح: 12].

6 - زيادة القوة بكل معانيها **وَيَرْزُقْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ** [هود: 52].

7 - المصالح الحسن **يُجَنِّبُكُمْ مَتَاعًا خَسِيسًا** [هود: 3].

8 - دفع البلاء **وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** [الأنفال: 33].

9 - وهو سبب لابتداء كل ذي فضل فضله **وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ** [هود: 3].

10 - العباد أحوج ما يكونون إلى الاستغفار، لأنهم يحيطون بالليل والنهار، فإذا استغفروا الله غفر الله لهم.

11 - الاستغفار سبب لنزول الرحمة **لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْجَوْنَ** [النمل: 46].

12 - وهو كفارة للمجلس.

13 - وهو ناسي بالي، لأنه كان يستغفر الله في المجلس الواحد سبعين مرة، وفي رواية: مائة مرة.

أوقات الاستغفار:

الاستغفار مشروع في كل وقت، ولكنه يجب عند فعل الذنوب،

ويستحب بعد الأعمال الصالحة، كالاستغفار ثلاثاً بعد الصلاة،

وكالاستغفار بعد الحج وغير ذلك.

ويستحب أيضاً في الأسفار، لأن الله تعالى أتى على المستغفرين في الأسفار.

صيغ الاستغفار:

1 - سيد الاستغفار وهو أفضلها، وهو أن يقول العبد:

(اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت).

2 - أسغفر الله.

3 - رب اغفر لي.